العربي

24 يونيو 2007 – العدد 1061

د. رؤوف عباس..

حوار.. ماهر حسن

الدكتور رؤوف عباس من مواليد 24 أغسطس سنة 1939 فى بورسعيد ويفخر بأنه ابن أحد عمال السكك الحديدية وحفيد عامل فى السكك الحديدية بل ويفتخر بأنه ينحدر من إحدى الأسر الفقيرة الكادحة من المصريين، ومع انتقال والده للعمل فى القاهرة انتقل معه وتلقى تعليمه فيها وحصل على الثانوية العامة وأخذ يجد فى البحث عن عمل لمساعدة أسرته ولكنه لم يجد فرصة عمل، وكانت هناك مدرسة اسمها مدرسة التليغراف تؤهل لمهنة معاون ولكن سنة لم تؤهله للالتحاق بها، فوفر له أحد أصدقاء العائلة فرصة عمل فى شركة تأمين فذهب إلى منزله فى الظاهر، بخطاب من قريبه وكان مكتب التنسيق مفتوحا وكان عباس حاصلا على أكثر من 60% بترتيب ال 900 على الجمهورية، وكان ابن هذا الرجل حاصلا على 55% وقدم فى التنسيق، فاعترض الرجل على عدم تقديم رءوف فى التنسيق وعرض عليه العمل والتقديم فى مكتب التنسيق فى وقت واحد ولم يكن مع رءوف عباس نفقات التقديم فأعطاه إياها فرفض رؤوف وثارت كرامته فقال له هذا قرض حسن، والتحق بكلية الآداب جامعة القاهرة وحصل على ليسانس الآداب عام 1961 بتقدير جيد وتم تعيينه فى كفر الزيات إلى أن سجل للحصول على الماجستير واختار موضوعا من واقع عمله بين العمال فكانت دراسته حول الحركات العمالية، إذ أيقن أن هناك تراثا وراء الحركة النقابية العمالية فى مصر ومضى الدكتور رءوف قدماً إلى أن حصل على الدكتوراه عام 1971. وفى شهادة على الماضى والحاضر وفى محاولة لاستشراف المستقبل الغامض دار الحوار.. - نبدأ معك من الحالة العلمية والتعليمية لمصر الآن كيف ترصدها؟ -- بالنسبة للمستوى العلمي يجب أن نفرق بين مرحلتين المرحلة الناصرية حيث كانت هناك خطة لبناء قاعدة علمية، وبين الآن وهناك دراسة مهمة تم انجازها حديثا على التعليم العالى وهى دراسة تعتمد على إحصاء ما هو قائم وقد اشارت إلى أن التعليم العالى قد شهد خلال الثلاثين سنة الماضية انصرافا عن العلوم الطبيعية لصالح العلوم الإنسانية، وقد أوردت مقارنة بين طلاب الثانوى العلمى وأقرانهم فى القسم الأدبى، الأمر الذى كشف عن تآكل فى القسم العلمى لصالح القسم الأدبى لحد يصل إلى ثلاثة أضعاف، كما لاحظت إقبالا على الكليات النظرية أكثر من الإقبال على الكليات العملية بينما لو تذكر أن هذه الظاهرة كان وضعها مختلفا منذ منتصف الخمسينيات حيث كان اهتمام الدولة المباشر ببناء قاعدة علمية، وأذكر أنه فى إحدى السنوات الدراسية فى الثانوية العامة أن الدولة أوفدت العشرة الأوائل فى الثانوية العامة إلى موسكو ليدرسوا طبيعة نووية وهندسة نووية، وكان بينهم أحد أقربائى، لقد كانت هناك سياسة بعثات راعت تعدد المجالات والتخصصات الذى غلب عليها التخصص العلمى والعلوم التطبيقية، ولم يكن التنوع مقتصرا فقط على طبائع التخصص، وإنما على الأماكن التى يتم ارسال البعثات إليها، فكان لدينا مبعوثون من أقصى الأرض إلى أقصى الأرض من اليابان مرورا بالاتحاد السوفيتى وأوروبا وصولا أمريكا وكندا، وكان للعلوم التكنولوجية والتطبيقية نصيب وافر فى تخصصات هذه البعثات التى عادت كوادرها ليشاركوا فى مشروع الطاقة النووية، ومنهم من سافر مرة أخرى للحصول على الدكتوراه كان هذا واضحا فى الستينيات إلى أواخر السبعينيات حيث تم تصفية هذه المرحلة، وأذكر أننى فى تلك الفترة الذهبية كنت أتحدث فى أحد المؤتمرات فقال لى باحث فرنسى إننا سنحدث انقلابا فى وضع الدول النامية لأننا جمعنا بين كل المدارس العلمية الموجودة فى الدنيا بفضل هذه البعثات وأن هؤلاء المبعوثين عند عودتهم إلى مصر سيحدثون نقلة علمية فارقة ولم يكن على دراية بظروف مصر حيث غابت الخطط التى تستثمر هذه الخبرات الواعدة بتحويل وإدخال هذه الكوادر المؤهلة فى منظومة للبحث العلمى، فقد انتهت كل هذه الخطط الطموحة بدءا من عهد السادات وتم إهدار هذه الكوادر المؤهلة بشكل جيد، ومنذ عهد السادات عدمنا هذه المنظومة العلمية المتجانسة التى أرسى قواعدها العهد الناصرى. - ولكن مازال لدينا مركز قومي للبحوث؟ -- تحول منذ العهد الساداتى من جهاز علمى بحثى إلى جهاز بيروقراطي - ألا يمكن أن يكون القصور فى اختيار الكوادر المرشحة للبعثات؟ -- هم كانوا يختارون العشرة المتفوقين، والدولة لم تكن تهتم إذا كان المبعوث ابن عائلة اكاديمية بارزة، أو أن أباه مثلا يحتل أحد المواقع التعليمية المهمة، فلم تكن هناك

محاباة أو مجاملة أو واسطة وقريبى الذى حدثتك عنه ورشح لإحدى البعثات كان ابن أسرة، عادية من عوام الناس، فقريبى هذا كان والده كمسارى فى أتوبيسات أبورجيلة قبل الثورة وكان لديه سبعة أبناء ويسكن فى بدروم إحدى العمارات ولكن صديقى هذا تم ترشيحه لأنه كان من المتفوقين، وكان تعيين وكلاء النيابة آنذاك من الأوائل فمن لم يتم تعيينه فى الجامعة يتم تعيينه فى النيابة ومن بينهم أحد زملائى فى الثانوية الذى لم تكن أسرته تمتلك سوى ثلاثة قراريط أرض فى المنوفية، وإخوته يقومون بزراعتها وهو الوحيد المتعلم بين أشقائه إذن فكان الاختيار يتم بحيث يصب فى مصلحة خطة التنمية، أما فى عهد السادات فلقد كانت توجهاته جميعها لا تهتم بالمشروع التنموى وكان يقول: إحنا بلد زراعى.صناعة إيه بلا كلام فارغ قال هذا فى خطبه وقال إن الدانمارك التى لا تزيد مساحتها على مساحة محافظة البحيرة بتأكل العالم كله جبنة وزبدة ولحوما ومنتجات حيوانية لماذا لا نتخصص فى هذا الكلام؟ لكنه للأسف لم ينجح فى زراعة ولا فى صناعة. - معنى هذا أننا أصبحنا بيئة طاردة للعلماء منذ السادات وإلى الآن؟ -- طبعا، وقس حالنا بحال الهند وفوزى حماد رحمة الله عليه كان من النماذج التى تربت فى برنامج تأسيس القاعدة العلمية التى حدثتك عنه الذى بدأ فى أواخر الخمسينيات قال لى إن الهند كانت قد بدأت معنا فى الستينيات وحين كانوا فى البعثة كانوا يجدون الهند مثلا قد أوفدت نحو مائتى مبعوثاً، فى مقابل عشرين مبعوثاً مصريا لأنهم كانوا على دراية بأن الغرب سيستقطب بعضا من هؤلاء المبعوثين الذين يدرسون فيها وبالأخص العناصر المتميزة منهم وكان من أسباب الاستقطاب أيضا هو حرمان بلادهم منهم فيما يشبه تعطيلا للمشروع العلمى لهذه البلاد، لقد قرأت فى أحد الكتب أن بن جوريون حينما علم بأن الحاصلين فى مصر على الثانوية العامة فى القسم العلمى فاق المعدلات المتوقعة، أعرب عن قلقه لأنه رأى فى ذلك خطرا على إسرائيل، ولعل سعى دول الغرب لاستقطاب العناصر المبشرة فى المجال العلمى فى دول العالم الثالث مبعثه هو السعى لحرمان الدول النامية صاحبة المشروع التنموى السياسى من أن تؤسس قاعدة علمية ولذلك الهند كانت تبعث بالمائتى مبعوث وعليه فإنك تجد علماء من الهند فى كل أنحاء العالم كما تجد أن أبرز أساتذة الطب الكبار فى أمريكا من أصل هندى وتجد الهند فى الوقت نفسه تنافس أوروبا الغربية فى مجال الطب، خاصة فى الجراحة لكن هل تعلم أن مصر تنفق 0.2% من الدخل القومى على البحث العلمى فيما تنفق إسرائيل أكثرمن 3% على البحث العلمى، نحن باختصار فى دولة لا تسعى لبناء قاعدة علمية. - يعنى لا يوجد لدينا مشروع إصلاح ولا مشروع تحديث؟ -- على العكس إن جزءا مما سمى بسياسة الانفتاح فتح الباب للمشروعات الممولة بقروض أجنبية من التى يشترط مانحوها أن تقوم مكاتب تنتمى إليهم بإعداد دراسات الجدوى، صحيح أن مكاتبهم قد استخدمت كومبارس مصريين ليشاركوا فى دراسات الجدوى على طريقة إنت عاوز إيه يا بيه علشان أعمله فأصبحت مؤسساتنا العلمية بلا وظيفة بحثية. - وإذا أخذنا عينة مكبرة وأردنا أن نرصد حال التعليم فى مصر الآن؟ -- التعليم انهار، ومن أول الأسباب التى أدت لانهياره هو غياب فكرة تأهيل المعلم وكليات التربية نموذج فريد دال على ذلك، فهناك طالب يحصل على الثانوية وحين ينعدم أمله فى دخول كلية يتمناها يلتحق بإحدى كليات التربية ليصبح مدرسا، لكن هل هو مؤهل تعليميا وتربويا وفنيا وثقافيا لتربية أجيال أم لا؟ أم أن كلية التربية هى مرحلة تمهيدية للحصول على وظيفة والسلام؟. لا توجد لدينا رؤية مستقبلية فى هذا الاتجاه المتعلق بإعداد المدرس، وأنت تلاحظ أن كليات التربية فى ذيل قائمة الرغبات بمعنى أن تستقبل الطلبة الحاصلين على أقل الدرجات يعنى من غير المتميزين، يا أخى لقد كانت الدولة تعين دبلومات الصنايع للتدريس فى أخطر مرحلة من مراحل التعليم وهى المرحلة الابتدائية المؤسسة لكل المدارك العلمية والتعليمية لدى الإنسان المصرى فهل شخص حاصل على دبلوم فنى مؤهل لتأسيس الشخصية المصرية.. إنهم يهدمون كل شيء. -ولكن هذه ثقافة مجتمع يا دكتور، فإذا كانت كلية التربية من كليات القاع فإن الطالب يلجأ إليها كخيار وحيد باق. يستوعب مجموعه، وحتى الطلبة المتميزين يخضعون لهذه الثقافة التى تقول إن الطبيب أحسن من المهندس، والمهندس أحسن من المدرس؟ إذن ليست هناك خيارات تصب فى مصلحة المجتمع؟ -- حينما كان هناك مشروع تنموى كان الإعلام يخدّم على هذه القيم التنموية ثم تحول ليكرس لهذه الثقافة الشعبية التى تفاضل بين المهن التى تصب فى مصلحة أصحابها فقط. - باعتبارك متخصصا فى التاريخ، لو أردنا أن نعقد مقارنة بين مشروعين أحدهما تاريخى والآخر آنى بين مشروع محمد على باشا المعنى بالإصلاح والتحديث أعنى مشروع تأسيس دولة قوية الذى قام به الأمى محمد على وبين مشروع الرئيس مبارك للإصلاح والتحديث. -- بالمناسبة فإن محمد على باشا لم يكن أميا فيما يتعلق بالكتابة والقراءة العربية بل والتركية أيضا يعنى كان على الزيرو ومع ذلك فأنت تطلب منى أن أقارن مشروع محمد على بمشروع الرئيس مبارك وإجابتى أن مبارك ليس لديه مشروع أصلا وانت كده بتظلم محمد على باشا،محمد على كان يبنى دولة ويحقق لها بنية أساسية، وكان كل هذا داخل فى سياق تأسيس جيش قوى، وكان محمد على باشا يعرف جيدا أنه حينما يؤسس جيشا فإن هذا الجيش لن تلزمه أسلحة فقط وإنما معدات وملابس وأحذية ولم يعتمد على الغير وقرر أن يعتمد على نفسه فى تصنيع ما يلزم هذا الجيش من الحذاء إلى السلاح وكان شعب مصر آنذاك نحو ثلاثة ملايين وضع من بينهم ثلث مليون تحت السلاح - أى ادخلهم التجنيد - ولذلك فإن محمد على باشا أراد أن يبنى دولة قوية عمادها قوة عسكرية فى شكل شوكة قوية ولكى يحقق هذا

فإن كل ذلك يستلزم وجود اقتصاد قوى، فأقام الصناعات الحديثة، التى انتجت فى البداية الأقمشة لصناعة أزياء الجند، والطرابيش للجند والجلد لصناعة الأحذية والأردية الجلدية للجنود ثم يصب مدافع ويصنع بنادق وذخيرة، ويكفل الغذاء الجيد للجند عن طريق الزراعة الجيدة، ولأن عليه أن يخوض البحر فأسس لترسانات بحرية، ولكى يكون الجنود على حظ من التعليم والمعرفة ولكى تتوفر الصناعة عليه أن يحقق تعليما متخصصا، لكنه كان على قدر ما يحتاجه هو. يعنى لم يسع لتأسيس قاعدة تعليمية واسعة ولكن للإنصاف فإنه ربط كل هذا بمشروع عسكرى سياسى، ولكن للإنصاف أيضاً فإن هذه السياسة كان معمولا بها آنذاك حتى فى أوروبا. - لكن ألا تلاحظ أن لدينا فائضا تعليميا فى آلاف الخريجين الفائضين عن سوق العمل أى بمعنى أنه ليست هناك علاقة بين التعليم واحتياجات التنمية والتحديث؟ -- فى الحقيقة، ان فائض التعليم لدينا لا يعنى أننا فقنا المعدلات العالمية فمازالت نسبة التعليم العالى لدينا أقل مما هى عليه فى كثير من الدول النامية، لكن المشكلة أساسا فى نوعية التعليم وحينما تكون بصدد تأسيس نظام تعليمى عليك أن تضع عينيك أولا على متطلبات التنمية عندك وإذا لم تكن هناك تنمية أصلاً فلا تتحدث أساسا لا عن فائض تعليم ولا عن نوعية لأن المشروع الأساسى غائب. - ما بين اكتساحات وفتوحات إبراهيم باشا، والندية الشاملة التى كانت تتميز بها مصر فى مواجهة القوى العظمى آنذاك وبين تبعيتنا الصارخة لأمريكا مساحة شاسعة لنسأل ما الذى جرى وأين شخصية مصر ودورها وتأثيرها؟ -- هذا سيجرنا لقضية أخرى وهى نكبتنا السياسية، وذات مرة سمعت خبيرا استراتيجيا من اياهم يقول: إن الدور الإقليمى لمصر له شروط لسنا مؤهلين للوفاء بها، وللأسف فإن أضعف جبهات مصر أصبحت الجبهة الشرقية، وكانت معظم الغزوات التى تعرضت لها مصر مصدرها هذه الجبهة الشرقية وهذا لم يحدث فى التاريخ إلا مرتين، مرة من القطميين والأخرى من الليبيين وقدوم الفاطميين لم يكن غزواً حيث كانت مصر جزئية فى منظومة إسلامية كبرى الحاكم الإسلامى القوى فيها خير من الضعيف وبالتالى فإن أمن مصر القومى من عهد رمسيس الثانى يبدأ من عند جبل الدروز يعنى ما يجرى فى الشام والعراق أثره مباشر على مصر سلباً أو إيجاباً ولذلك يجب أن تكون لنا يد فيه ليس بالبطش لكن يد مدافعة وفاعلة وهذا فهمه محمد على باشا فقد ذهب إلى الجزيرة العربية ليؤدب الوهابيين ويؤمن الحجاز لأنه ريشة فى عمة السلطان العثمانى باعتباره حامى الحرمين ثم يذهب لليمن ويقترب فيسارع الإنجليز بالاستيلاء على عدن بل أذهب لأبعد من ذلك فإن السيناريو ذاته كرره حلف الأطلنطى بالتواطؤ مع إسرائيل للإيقاع بعبدالناصر إثر حرب اليمن أما محمد على حينما تلقى تحذيرا من بريطانيا لم يستدرج لحرب قد تعطل مشروعه النهضوى ولم يحب أن يدخل معركة فى عدن لكن ظلت قبضته قوية على البحر الأحمر كما لم يشأ أن يتورط فى مشكلة مع الإنجليز فى الهند، إذ كان يقدم أهدافا على أخرى محمد على كان رجل دولة بالسليقة فلم يتعلم فى أكاديمية أو معهد، ولا هو جندى نظامى أيضا إنما كان جندياً مرتزقة، ولكنه كان قائداً بالفطرة، وصاحب مشروع ولديه وعى فطرى بأهمية الأمن القومى حتى أنه أرجأ مشروع حفر القناة قائلاً: أنا لا أريد بسفورا فى مصر الآن. أما مبارك فليس لديه مشروع كما قلت وسياسة مصر منذ جلس مبارك على مقعد الرئاسة هى مجرد ردود أفعال ليست أفعالا فليس لدينا استراتيجية ما وليس لدينا وعى بأهمية عنصر الأمن القومى كعنصر فاعل فى السياسة وكل هدف مبارك هو إرضاء كل الأطراف ليظل فى موقعه لأطول مدة. - محمد على ظل فى الحكم أطول فترة ممكنة وجعل الحكم فى أسرته وراثياً؟-- هذا كان نظاماً سائدا فى الحكم فى معظم دول العالم آنذاك لكنه كان صاحب رؤية سياسية وصاحب فعل لا صاحب رد فعل وكان له دور وموقع إقليمى متميز كما كان مساوما ومناورا وبناء. - لكن ألا تلاحظ أنه لا يوجد فارق بين حاشية محمد على وحاشية الحكم الحالية؟ -- محمد على فى كل تاريخه لم يكن يقضى أمرا أو يأخذ قرارا إلا بعد استشارة متخصصين فى المجال الذى سيأخذ فيه قراراً، وقد أطلعنى أحد تلاميذى ذات مرة على بحث أجراه على ما أذكر عن الصناعة أو الزراعة فى عهد محمد على وكان قد طلب من المتخصصين الرأى والمشورة وكانوا من المصريين فكان ردهم على محمد على على طريقة عنينا طفايات لسجاير سعادتك و أحلام سعادتك أوامر.. فعاد محمد على وأكد على طلبه المشورة إذا لم كان يريد أن يأخذه من قرارات سيفيد أم سيضر فهو رجل عملى.. فكتبوا له تقريراً ورديا جداً.. فوبخهم جميعاً وقال لهم أمال أنا جايبكم ليه؟ ولأنه لم يخرج بنتيجة.. استقدم رجلا كان يعمل فى مدرسة المحاسبة لينظم له الإدارة، وكان فرنسيا واسمه رويسيه فنظم له الدواوين ووضع له اللائحة التى صدرت عام 1837 باسم سياستنامة قال هذا الرجل أشار على محمد على بإنشاء مجلس نيابى من غرفتين واحدة للناس يختارون نوابا عنهم والأخرى يعين فيها محمد على كبار الموظفين والخبراء الذين تعرض عليهم كل القرارات لدراستها قبل تنفيذها، فقبل محمد على منه النظام الإدارى الذى حققه وقال له مثلما قال كرومر وأحمد نظيف البلد غير مهيئ بعد، لكنه لم يقل أن البلد لا يصلح لهذا وهناك فارق كبير بين العبارتين.. محمد على لم يكن يتحرك إلا بعد دراسة مستفيضة لموضع قدمه. - محمد على اعتزل الحكم وهو على قيد الحياة حين رأى أن سنه لم تعد مؤهلة للحكم وقال آنذاك أنا فى هذه السن لم أعد قادراً على إدارة دولة قوامها ثلاثة ملايين مصرى.. لكن مجلس مشورته أشار عليه بالبقاء فلما طالبهم بقول الحق ووبخهم اختاروا ابنه إبراهيم أليست هى الحاشية لم تتغير صورتها منذ مئات السنين.. هل مداهنة السلطة أم داء سياسى تاريخى فى حاشية حكام مصر؟ --

ارجع لتراث بلد يقول حشّ وارميله ستجد تفسيرا.. ويبدو أنه من فرط ضغوط السلطات المتعاقبة على المصريين فقد أصبح نفاق السلطة سائداً ليس بغرض التقرب منها فقط أو فى كل الأحوال لكن بغرض تفادى إيزاء هذه السلطة وبطشها. لكن حاشية محمد على لم يكن جميعهم مصريين فلقد كان بينهم الجراكسة والأتراك وبينهم مصريون تعلموا فى الخارج وهذه ليست عادة مصرية خالصة لكى لا نظلم أنفسنا، أنت لم تجرب وأنا أيضا لم أكن من حاشية السلطان، ولو كنا.. ربما لحرصنا على ألا تزول النعم التى تعود علينا من هذه السلطة ولربما تكون عيناك على هذه المنافع قبل أن تلفظ بكلمة حق. - وهل تفعل حاشية الحكم الحالى نفس الشيء؟ -- نعم لكن الفارق أن مبارك يريدهم أن ينفذوا ما يريده ولكن شرط أن يقولوا له كيف تم تنفيذ ما أراد وكيف يقنعون الناس به يبلعوا الموضوع يعنى إنما محمد على كان يراعى المكسب العام والخسارة العامة لمشروعه وهذا هو الفارق ونحن للأسف تحكمنا عصابة لها مصالح فى الداخل والخارج وعيناها دائماً على هذه المصالح على حساب الوطن والناس ومبارك مستفيد من هذا. - كيف؟ ما الاستفادة؟ -- لا تعليق.. - طيب من أين حقق المستفيدين من النظام ثرواتهم هذه؟ -- اسألهم.. - هل تعرضت مصر للنهب؟ -- هى تعرضت للنهب المنظم - من أبطال هذا النهب؟ -- أصحاب المصلحة فى المؤسسة الحاكمة وحلفاء هذه المؤسسة وتأمل الثروات بالمليارات لأبرز القريبين من السلطة؟ فى عشر سنوات منين؟ وقديما حينما سألوا فورد كيف كون ثروته قال لا تسألونى عن المليون الأول إنما أؤكد أن باقى ثروتى تكونت بطريقة مشروعة وليس فقط من أعنيهم بالثروات المفاجئة الطارئة القريبين من السلطة وإنما أيضا جمال مبارك ذاته، فحينما يصبح نصيبه فى ميد ايست انفيست حوالى 750 مليون دولار، فهذا شيء ملفت. - هذا كلام يشاع فما الدليل على صحته؟ -- هذا الكلام نشرته الفايننشال تايم ولم يكذب أحد هذا الكلام، لقد حدث اتجار بسندات الدين المصرى على مستوى واسع ولعبت السفارة الأمريكية فيه دوراً كبيرا لأنها كانت تمتلك قدرا كبيرا من هذه السندات بحجة دعم القطاع الخاص فيما كان الدافع الأساسى هو تربية الزبائن تماما مثل المحال التى تشترى منها سجائر فتعطيك ولاعة هدية حتى أن صحيفة الدستور عادت فنشرت هذا الموضوع ولم يصدر تكذيب. - علام يراهن النظام.. وهو بصدد إعداد المسرح لقدوم جمال مبارك؟ -- على لا مبالاة الناس بعدما أغرقهم فى مشاكلهم الفردية، وجعلوهم يدورون فى طاحونة يومية ليفوا بحاجاتهم المعيشية وعملية تخريب التعليم كانت أشبه بالبالوعة التى تشفط دخول الناس وكثير جدا من المصريين يعملون فى وظيفتين ليفوا بحاجاتهم، فضلا عن مراهنتهم على الحركة السياسية المعارضة التى اضعفوها إذ أنه يضرب أى إمكانية لحدوث تفاعل إيجابى فى صفوف المعارضة فكان أن استخدم قانون الطوارئ ثم القانون 179 لإجهاض أى محاولة لظهور معارضة قوية وفعالة فى الوقت الذى يحتاج فيه المعارضة ذاتها فى شكل كتابات مثل ما تكتبه أنت وأنا وغيرنا للإيهام بمناخ حرية.. الناس تضيق بها سبل العيش يوما بعد يوم. - البلد مليان سيارات فخمة ومليان خير وفلوس؟ -- لكن من الذين يتمتعون به؟، أنا أبلغ من العمر 68 عاما ولم أر طوال حياتى المصريين يشترون أرجل الدواجن لا أعنى سيقان الدواجن، لكن أعنى أقدامها وأصابعها وان القمامة المصرية أصبحت تخلو من أقدام الدواجن ومن يشترى أوراك الدواجن برجوازيون وبائعو الدواجن يبيعون هياكل الدواجن وأقدامها الكيلو بأربعة جنيهات. - تعنى أن الفقر تنامى وأنه تم إفقار المصريين؟ -- نعم لقد تنامى الفقر والجريمة أيضا وتأمل الجريمة ومدى بشاعتها والعنف المفرط فى ارتكابها مما يشير إلى توتر عصبى أصاب الناس اليوم هناك من يقتل صاحبه من أجل جاكت هناك جرائم غريبة تدل على مدى الخلل الاجتماعى، وجزء من هذا الخلل أن الناس أصبحوا عاجزين عن تلبية متطلبات ضرورية وصغيرة كالزواج وهناك جرائم لم يكن يعرفها المجتمع المصرى مثل زنا المحارم ومشاكل الزواج العرفى الشائعة ليس فى الجامعة فقط وإنما فى المدارس الثانوية. - إلى أين سيؤدى بمصر كل هذا؟ -- إلى انفجار. - لن يحدث -- سيحدث وفق كل الاتجاهات خاصة بعد أن رفع النظام برقع الحياء لذلك فالنظام يؤمن نفسه بعصا الأمن والقمع حيث إنهما الأداة الوحيدة لتلجيم الناس وسيحدث الانفجار حينما يعز على الناس توفير القوت المشكلة فى أن الانفجار لا يكون منظماً، ولن يكون الانفجار فى اتجاه السلطة فقط وإنما باتجاه ذاته فمن ليس معه سيكون عدو الذى معه. - أمازال لديك أمل؟ -- مازلت أراهن على الشعب المصرى ومازلت متفائلاً، النظام يراهن على خنوع الشعب وأنت رجل مهتم بالتاريخ، وتعرف أنه حينما يحدث فى مصر أن يتطاول الناس على الحاكم، فإن ذلك لم يحدث مع الحاكم القوى، فإن هذا التطاول هو مقدمات نزول الستار وحينما كنا نهتف قبل حريق القاهرة ضد فاروق إلى أنقره يا ابن.. أو فاروق ياويكا هات أمك واختك من أمريكا.التطاول على مقام الحاكم هى مقدمات نزول ستار.. وأنت كنظام لا تستطيع إغلاق أفواه الناس فى جلساتهم الشخصية ومهما كانت هناك من إجراءات قمع وكبت فإن هذا مؤشر على الرفض التام للنظام وحينما تجد الناس نفسها وظهرها للحائط فلا بديل عن الانفجار. - من تفصيلات هذا الانهيار الذى نعيشه انهيار البنية الاجتماعية أيضا، فهل ضرب الطبقة البرجوازية منذ الانفتاح أسهم فى الإسراع بهذا الانهيار وتأكيده؟ -- مشروع عبدالناصر كان يهدف لتوسيع حجم الطبقة الوسطى رغم تحيزه الظاهر للفقراء، فإن هذا التحيز للفقراء كان يهدف أيضا لبرجزة بعضهم، لتوسيع حجم الطبقة الوسطى لتحقق الاتزان فى المجتمع فتآكلت الطبقة الوسطى، الذين كان يسميهم الجبرتى مساتير الناس أى القادرون على توفيق أوضاعهم. -

سنعود مرة أخرى للتعليم وننطلق هذه المرة بالاستضاءة لما ورد فى كتابك مشيناها خطى الذى كان أشبه بالتوثيق لانحرافات الجامعة وجميعنا يعرف هذه الانحرافات حيث لا يخلو بيت مصرى من أبناء له فى الجامعة أو أساتذة فيها ما الجديد؟ -- هناك زميل فى كلية الهندسة قال لى نشكرك على ما ذكرته فى كتابك فقلت له أنا لم أقل شيئا لم تعرفوه فقال: ولكننا كنا نحتاج شخصا مفخخاً. - وحين انفجرت طال انفجارك الكثيرين ودخلت معركة حامية مع الدكتور عبدالعظيم رمضان الذى فند كل ما جاء فى هذا الكتاب؟ -- بالمناسبة أنا كسبت القضية التى رفعها ضدى وحصلت على البراءة ورفعت أنا عليه قضية مدنية، وحكم المحكمة لصالحى فى حكم تاريخى سأضيفه إلى طبعة جديدة من الكتاب وحيثيات هذا الحكم بالبراءة تقع فى 11 صفحة، حيث كل ما قاله فى ردى عليه جاء تحت طائلة القذف وحكمت المحكمة لى بتعويض قيمته عشرة آلاف جنيه، وهو رفع استئناف وأنا كذلك، وأنت تعلم لعبة التقاضى بين خصمين لكن مكسبى الأدبى فى الحكم بالبراءة. وأرجو ألا نخوض فى هذا الموضوع مجددا ولا تعطه أنت اهتماما لا يستحقه فأنت لا تعرف شخصية الدكتور عبدالعظيم رمضان فهو لديه عقدة عظمة.. وهناك أربعة ممن رفعوا على قضية ذهبوا إليه وهم لديهم رأى فيه وقالوا له يخلصك مش عارف إيه فامتشق الحسام وكتب ما كتب، فلطشته فى موضوع رجل التاريخ حين رفعت الستار عن ادعائه بأنه صديق حسنى مبارك وان الرئيس يتصل به كل يوم وأشياء من قبيل قاللى وقولت له والناس صدقت هذا بمن فيهم وزير الثقافة فاروق حسنى، وذات مرة قلت للدكتور جابر عصفور إنه إذا جاء عبدالعظيم رمضان فى الدورة القادمة رئيسا للجنة التاريخ سأعتذر من الآن فقال: إن المشكلة ان الوزير لن يوافق لأنه مقتنع أنه صديق الرئيس فلما كتبت أنا هذا الكلام نفى د. جابر عصفور ما قاله.. فتوقف الدكتور عبدالعظيم عن هذا الزعم. - كتابك لم يعرض رؤية بانورامية للتعليم الجامعى فى مصر ولكنه تحدث عن جامعة بعينها؟ وتحدث عن التنازع فى الإشراف على مناقشة الرسائل الجامعية وعن التدخل الأمنى السافر فى شئون الجامعة والمعايير الأمنية فى اختيار قيادات الجامعة إذ أصبحت تدار أمنيا والدكتور عبدالعظيم رد عليك قائلا بأنك تسيء لسمعة جامعة عريقة؟ ما هى ردودك؟ -- على مين؟.. هذا الكتاب هو سيرتى الذاتية ولقد تحدثت وكتبت ما سمعته بأذنى ورأيته بعينى ولم ألفق اتهامات دون أن أكون شاهد عيان عليها وليس نقلاً عن، وهناك بلاوى أكثر، لكننى لم أذكرها، ولم أقل نما إلى علمى فكان من الطبيعى أن اتحدث عما رأيته وسمعته وكنت شاهدا عليه فكيف اتحدث عن جامعة أخرى لم أكن فيها. وأنا قلت إذا كان هذا يحدث فى جامعة القاهرة فإن هناك ما هو أسوأ فى الجامعات الأخرى. - وكيف يتم اختيار قيادات الجامعة؟ هل يتم وفق معايير أهل الخبرة أم أهل الثقة؟ -- المسألة تبدأ من عند تعيين المعيد حيث يتم رفض تعيين أى معيد له انتماء سياسى أو حزبى وأحيانا يرفع مثل هؤلاء قضايا ويكسبونها لكن الدولة لا تلتزم بتنفيذ أى حكم قضائى. - لقد تعرضت لمسألة شائكة أيضاً وهى التمييز ضد الأقباط.. و -- نعم والدكتور عبدالعظيم نفاه وقال إننى أريد أن اتهم نظام حسنى مبارك العظيم بأنه ينتهج سياسة مش عارف ايه فقلت له إنها سياسة ليست مكتوبة ولكنها تنفذ وإذا وضعنا رءوسنا فى الرمل فإننا نهئ البلد لحريق، وأؤكد مازال التمييز موجوداً. - ألا زال السطو على الرسائل الجامعية موجوداً؟ -- نعم مازال موجودا وهنا بقى أقول نما إلى علمى أن هناك من يحصلون على ترقية فى الطب بأبحاث ملطوشة من على النت وهذا يعود إلى أن الأساتذة الذين تتكون منهم اللجان بالأقدمية لا بالكفاءة العلمية. - ولكن لماذا لم تتحدث إلا الآن لماذا صمت طوال هذه السنين؟ -- هذا قيل لى، وأنا دائماً كنت أتصدى لمواقف فساد ولما كنت أعجز عن خوضها فى الجامعة كنت أنقل المعركة إلى الصحافة ولم يكذبنى أحد مثلا على اعتراضى على نقل ابنة السادات الصغيرة جيهان من الفيوم.

http://www.al-araby.com/docs/article4688.html

أعيد نشرة يوم 13 يوليو 2008 بعد وفاة د. رءوف عباس:
http://www.al-araby.com/docs/article2142178037.html